

قاطعين خط مواصلات العدو وصار ممكنا الآن ترك خليج (تائن) بدون خوف أو انزعاج وعاملين كل الترتيبات اللازمة للهجوم العام على بورت ارثور وان انتصارنا في (نانشان) كان حادثا عظيما في تواريخ الحروب و هذا النجاح الباهر لم يكتسب بقوة البارود والمدفع ولكن في الحقيقة بدسالة وثبات رجالنا إذ في أثناء القتال عند عدم نجاح الهجوم الثالث صرخ القائد (أو كو) بصوت كالرعد: أين ياماتو داماشي؟ (روح اليابان) وعلى ذلك اكتسب جميع الجيش قوة جديدة وأخذ نفسا طويلا ثم استولى على الموقع عنوة بالهجوم ولقد قال السير كلود مكديولند (سفير انكلترا الحالي في اليابان) «أن سر نجاح جيش اليابان الدائم في هذا الحرب كان للرجال دون البنادق وموقعة (نانشان) هذه كانت برهانا لهذا النوع»

الفصل التاسع

الحفر والاستكشاف

كان يوم ٢٨ مايو هو الذي توجهنا فيه الى (شانجشياتونج) للحلول محل الفرقة الثالثة المدافعة ولقد افترقت فرقتنا بعد (نانشان) من الجيش الياباني الذي كان تحت إمرة القائد (أو كو) ولحقت بالجيش الثالث المنظم حديثا المحاصرة بورت ارثور وبوآن المسير بين (كينشيانون) و(شانجشياتون) كان غير بعيد الا أنني كلما كنت أفكر شيئا بخصوص السير لا أزال أتذكر هذه المرة بالخصوص فالارض التي حول بورت ارثور مكسوة بالحجار

والحصا وجميع المحلات الاخرى يشبه الجزيرة مكسوة بالاتربة الناعمة التي تشبه نخاله الارز أو الرمادي وكانت تملأ الهم والعبور والانف وكانت الرياح السريعة تحرك الى الاعلى غيوما من التراب تملأ الخلقوم ونهدم بأن يتلمع خط الجنود المتعرج الطويل الذي يشبه الثعبان وفي الغالب كان لا يمكننا أن نرى شيئا أمامنا على بعد متر واحد كان خط رجالنا في خطر القطم والارز المطبوع الموجود داخل غاب اكلنا كان مملوءا بالتراب وفي مرات اخرى كنا نمشي من خمسة وعشرين الى خمسين ميلا بدون استراحة ليلا ونهارا وأحيانا كنا نمشي سيرا متواصلا بدون فطرة ماء شرب أو نمشي في ظلام حالك ولكن كل هذا لم يكن شيئا منذ كورا بالنسبة لمتاعب السير المغطى بالاتربة فاذا كان ذلك هو ثمن الشرف للاشتراك في الحرب فقد دفعناه ولما كنا نفكر أننا مستعدون لمقابلة السونكيات والرصاص وجدنا أنه من العذب المحاربة مع الطبيعة نفسها عابرين القلوات ومتسلقين الجبال ومقاومين الامطار والرياح والحر والبرد ناعمين على فراش من حشيش ولكن بعد قليل ابتدأت أن تؤثر علينا حتى نسير مع الطبيعة

وقد تعلمنا أن نسر بالنوم في غيطان متسعة من الارز أو في قصر مبنى بالصخور ناظرين الى القمر سامعين من فراشنا ترنم الحشرات وبعد مسيرنا بدون استراحة أو وقوف وصلنا الى (شانجشباتونج) واخذنا موقع الفرقة الثالثة وعندما قابنا هذه الرجال اول مره شعرنا بخجلنا وأردنا أن نفضل بعيدا عن مرآهم أذاهم كانوا يظهرون في أعيننا متوجين بالفخر لاتمام عملهم العظيم في (نانشان) وكنا في ذلك الوقت كالفلاحين الذين لم يحقوا القطار فيقفوا

باهتين لينظروا الى خط الدخان وأفواهم مفتوحة وهم في حالة قنوط وقد حسدناهم عند ما رأينا ملابسهم مقطعة وملطخة بالدماء وعلى أجسامهم جروحات شرف جديدة وكنا ننظر اليهم بعيون حب واحترام معجبين بقبعاتهم المغطاة بالتراب وتزالكمهم (رباط ياف حول الساق) الملطخة بالدماء وكان كل من هبثهم وسلوكمهم يخبر عن أعمالهم الجليلة

وكان في وسط خط دفاعنا الايمن تل مقابل لجهة العدو وكان طول خطنا خمسة وعشرين كيلومترا من (انزوشان) في طرف الى (تانزوشان) في طرف آخر مع مضيق (مـاـوـتـوـزـو) في الوسط وكان آلاينا محتلا خطا بينهما وفي شمال هذا المضيق بالتمام توجد قرية (ليشياتون) وكان آلاينا يحتل خطا واصلا من هذه القرية في يمينها الى قرية پوشياتون في جانب النهر الآخر اندي توجد خلفه سلسلة تلول وهناك انشئت استحكامات قوية واجتهدنا في البحث عن العدو مستمدين في آن واحد للدافعة والمهجوم وفي هذه الاثناء نزل الى البر القائد (نوجي) (بطل بورت ارثور الشهير) مع اركان حربه في (بنتاؤو) ووصلوا الى (ياؤونسو) وهي قرية على بعد ٧ أميال تقريبا في الشمال الغربي من (دالتي) وعند حضوره تم تنظيم الجيش الثالث وكان شوقنا حينئذ تضاعف للمحاربة منتظرين أول فرصة ولو ان العدو انهزم في (نانشان) الا انه كان غير راض عن تسليم (دالتي) ولما أجبروا على اخلائها تركوها ناجين بارواحهم هم وزوجاتهم وأولادهم الى قاع الجراب (بورت ارثور) حارقين كل قرية في طريقهم . ولقد الشاؤوا خط استحكامات قويا موصلا للتلول (يانتون) و (لوآنيشياو) و (واينو) (وشوانجتنج) أما المسافة

بين الروسيين واليابانيين فكانت من ٣ الى ٥ آلاف متر ولذا تحققنا كثيراً من حالة موقع العدو بواسطة عمل جماعات الاستكشاف الشاق وعند ما وجدنا في خط المدافعة ابتدأنا في الحال من أول يوم بالشغل بالفؤوس وقد خصص لكل قسم من السواري وبلوك من البيادة محل وكانت كل جماعة من الجنود تشتغل في حفر خنادق في محاليلها ونهاراً لعمل المناوشات وكان الضباط ملاحظين والصف ضباط مقدمين وكانت جماعات من الضباط والصف ضباط ترسل على الدوام لاستكشاف حركة العدو ولما لم يأت انذار بأي خطر كانت الاشغال الهندسية تزداد كل يوم فكانت خنادق النيران وسواتر اعلى الرأس ضد مقذوفات الطوبجية التي تكون الخط الاول للمدافعة تزداد باستمرار والمتاريس الصدرية تقوت باكياس الرمل التي جلبت من (دالني) ووضعت امامها عراقيل سلوك بسيطة و عملت طرق وفتوحات صغيرة لعمل مواصلات بين اقسام الجنود المختلفة التي كانت منتشرة كندسيج العنكبوت وهذه الكيفية كانت استحكاماتنا اخذت شكل نصف قبة وكانت الجنود تستعمل مساكن القرية أو تنصب خياماً في رحبات البيوت أو تحت الاشجار ولما انتهت تقريباً جميع هذه التجهيزات ابتدأت تخرج جماعات الكشافة لمعرفة حركات العدو ومواقعه ان الجنود تكون مستريحه ومشرحة في الاستعراضات العسكرية أو المناورات في وقت السلم ولكنهم في ساحة القتال الحقيقية يمضون حياة وموتاً حقيقيين بمسابقتهم مع العدو وعلى استعداد واستقامة الجنود عند وجودهم في القره قولات الخارجية يتوقف النجاح في الممارك الحقيقية وعليه فالجنود

الذين في خط المدافعة لا يمكنهم أن يناموا بهدوء في الليل حتى ولا يشعلوا نارا للدفع اذ ان الليل هو الوقت الذي يلزم أن يكونوا فيه على حذر ساھريه كله أما الداوريات وخط القره قولات والكشافة الموجودون على بعد يجب عليهم أن يسمعوا في جانب أي استعمال للداخل وعلى كل حال مهما كان تمهيم فلا يجب عليهم أن يسمعوا حتى ولا لاي حشرة مخيفة أو عصفور طائر بأن يرددون أن يروه ويلزم أن يستعملوا نظرهم وسمعهم لاجل المحافظة على جميع الجيش الذي خلفهم بكل احتراس مع كتم أنفسهم بدون هور أو هوس وعاده انه عندما تتكلم الناس عن الحرب تنسى تعب ومسئولية رجال القره قولات الامامية بل يتكلمون فقط على سلوكهم في ميدان القتال فليعلموا أن بسبب اهمال هذا الواجب قتلت ثلاث اورط بياده في حرب استقلال امريقا سنة ١٧٧٧ وكان ناشئا عن غلطة ديده بان واحد

وانرجع لحدثنا الاول فنقول - كان يسمع صوت صراخ الديده بان فوقف من هناك ؟ الذي يزيد على وحشة وحدة الليل وفي الحال تسمع طلقة أو طلقتان في هذا الظلام الحالك اذ من المحتمل أنه قد رأى داورية العدو

ثم ظهرت قطعة سحاب سوداء من الشمال وانتشرت بسرعة وغطت جميع السماء بلون جبري وابتدأ المطر بعد ذلك نقطة نقطة واعمال الداوريات والطوافه المستيقظين جدها للعدو استمرت نحو الثلاثين يوما وكان في ذلك الوقت خطنا الدفاعي في نظام تام وابتدأ العدو يظهر رأسه اذ كان يسمع في كل ليلة طلقات البنادق بالقرب من خط الداوريات

وكانت التقارير عن العدو ترسل من الكشافة ليلا ونهاراً كالاتية :
 « يوزباشى - خمسة أو ستة من بيادة العدو ظهر، اثم اختفوا في الحال
 في وادى على بعد خمسمائة أو ستمائة متر في الامام » - وبعد قليل ابتدأنا
 نجرب الحيل المختلفة لضبط كشافة العدو بواسطة داوربتنا واحداها كانت
 أن يد حبل طوله ٢٠ مترا بعيدا من خطنا وفي هذا الحبل يربط حبل آخر
 أحد طرفيه واصل للمكان الذي فيه داوربتنا والفكرة أنه اذا مشى العدو
 على الحبل الاول فالقطعة الثانية توصل الاهتزاز الى الديده بان ولقد هرولت
 الجنود مرة عند ما وصلت الاشارة للقبض على العدو ولكنهم لم يجدوا الا
 كلبا أسود ينبج ويريد أن يهجم عليهم

الفصل العاشر

أول اسرى

كان عدد كشافنا يزداد ليس فقط من جنود الخط الاول ولكن من
 الامداد الموجود بالخلف ايضا وكانت ترسل جماعات الكشافة واحدة بعد
 الاخرى وكان الجميع ناجحين دائما فانهم إما كانوا يتقابلون مع قسم صغير من
 العدو ويفرقون شمنه أو يجمعون ويخبرون عن محل وجود قوة أكثر منهم
 عدداً وكان قوسنمدان اللواء أو الألامى يتقابل كل نجاح من هذا القبيل
 بترحاب إذ لم يتصادم لذاك الحين مع العدو الذي كنا مشتاقين جميعا لان
 نرسل ككشافة حتى يكون لنا حظ في تجاربتنا معه وانى أتذكر تماما ان